الفصل الثانى

شبكات الاستخبارات فى زمن الحرب

وصل كل من « كـار » و « إيلين داجيت » و « بـوسلى » إلى ستـوكهولم فى يـونيـه ١٩٤١ إلى حالة من الارتبـاك والتشوش . واستعرض « كار » ثقتـه العريضة فى النفس باعتبـاره ضابطـاً لجهاز مخابـرات الدولـة البريطانيـة لمدة عشرين عامـا من الخبرة الواسعة ، فى البلاد الاسكندنافية ، وصار يتصرف على النحو الذى يجبر أنداده وزملاءه على الاحترام .

غير أن الرئيس الأقليمى المقيم للمخابـرات البريطانية فى محطة ستـوكهولم . وهو المستر « جون بنشر مارتين » كـان مراوغاً فى معامـلاته مع الأقران كانت هيئـة الرجال العاملين مع مارتين والذين يتخذون من ستوكهـولم مقراً لهم ، وبخاصـة فى مدينة « برجـر جارلجاتان » يبلغـون الخمسة من الـرجال الأشداء وصـار عددهم الآن زائداً ثلاثة ضباط جدد .

وأضحت العـاصمة السـويديـة إحـدى المواقع الاستراتيجية لأجهـزة المخابـرات البريطانية السرية لرصد ومراقبة الأنشطـة الألمانية الدبلوماسية والجاسوسية ، وجمع الاستخبارات واختراق وترشيح وتمشيط العملاء المتحالفين (التابعين للدول المتخلفة) سواء الداخلين والخارجين من أوروبا المحتلة .

لم يرحب مارتن بأى تطفل أو تدخل فى سلطاته ، وبخاصة من أولئك الذين هم على شاكلـة المستر « كار » الذين كـانت سمعتهم داخل المخابـرات البريطانية سمعـة طيبة كخبير فى روسيا السوفيتية وكرجل معادى للغـاية للشيوعية . وذهب « مارتين » إلى أن خبرته لم تتنـاسب مع الواقع الجديـد حيث أن الهدف الأساسى والخاص للمخـابرات البريطانية أضحى ألمانيا .

وأعرب عن شكوكه من أن « كار » سوف يعتبر قبول روسيا السوفيتية كحليف لبريطانيا أمراً شاقاً وعسير الاحتمال . وفى هذه الحالة ، تقرر أن ينتقل « كار » إلى السفارة البريطانية ليتولى منصب السكرتير الأول ، وهو ستار يستطيع تحته أن يواصل العمل كرئيس لمحطة فنلندا ويجمع المعلومات عن عدو بريطانيا الجديد .

وكان السفير البريطانى واسمه فيكتور ماليت ينتمى إلى مدرسة الدبلوماسيين الذين يعتبرون الجاسوسية خطراً ينبغى التعامل معه بكل حذر واحتراس كما كان ينظر إلى مارتين على وجه الخصوص نظرة الاحتقار والازدراء .

ومنذ عام ١٩٤٠ ، كان « ماليت » يتألم من قصر جميع عمليات الاستخبارات البريطانية فى السويد وبخاصة تلك التى ينفذها الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة ، وهو جهاز كان قد تم إنشاؤه حديثاً . وكان حماس تشرشل لهذا الجهاز يعكس عواطفه القديمة لشن عمليات وأنشطة خفية فى روسيا البلشفية إلا أن « ماليت » بكراهيته عكس العداء الكبير فى داخل « وايتهول » بين الجهاز الجديد والمخابرات البريطانية السرية .

ولقد كانت الجرائم وعدم الحرص والتخبط والارتباك قد أدت إلى القبض على عملاء الجهاز التنفيذى للعمليات الخاصة فى السويد ، وهو الأمر الذى حث « ماليت » على إعاقة كافة المحاولات المبذولة لإعادة بناء المنظمة . وقالت السفارة : إن السفير لم يكن ليوافق على استخدامها قاعدة للأنشطة التخريبية . وأصر على إخطاره وإبلاغه بكل اتصال بين الوكالة البريطانية وأى سويدى على استعداد للمساعدة والعمل معهم لصالح المجهود الحربى للحلفاء .

وأبدى السفير تسامحه إزاء المستر « كار » ليس لأنه كان لاعباً ماهراً فى التنس ، ولكن أيضاً كان قريب النظرة من التصرف تصرف الساسة ، كما أن له علاقاته الدبلوماسية والسياسية الجيدة مع كبار الساسة السويديين ورئيس المخابرات السويدية . كما كان « ماليت » لغزاً محيراً وأحجبة بالنسبة إلى البعثة الأمريكية فى السويد .

وتسامح البريطانيون إزاء التعاون العسكرى الشامل بين السويد وألمانيا إلى درجة أن البعض صار مدفوعاً للاعتقاد بأن « ماليت » أصبح مؤيداً ومناصراً للسويد عن السويديين أنفسهم وتواصلت للسويد التقارير السنوية عن مائة مليون طن من الصلب وملايين الرولمان ، بل والعتاد التى جمعها الألمان من أجل صيانة ودعم عجلة

وماكينة الحرب الألمانيـة . أما الأمريكان منذ كانـوا ينظرون إلى ذلك على أنه تحالف بين القوى الأوروبية من أجل القضـاء على الشيوعيين . إلا أن « كار » لم ير في ذلك أى شيء غريب بل اعتبر هذا أمراً طبيعياً .

كانت الحيـاة لسائر ضباط المخـابرات البريطانية فى ستكهـولم على ذمة الحرب ، حياة رغـد ورفاهيـة بالمقارنـة بما كان يحدث فى لنـدن ،إلا أن السيد « كـار » على وجه الخصوص تحقق من المنافع والفوائد التى يجنيها أقرانه . وكانت المخاطر الوحيدة التى يتعرض هى الرحلة السنوية إلى بريطانيا لرؤية أهله وأسرته هناك، حينما طار عبر بحر الشمال على ظهر طائرة قاذفة من طراز « موسكيتو » .

وفى ستوكهـولم ، صار قلق « كار » بشأن الأمن والسلامـة ، ،هى التى كانت فيما سلف أمراً معـروفاً فقط لأولئك القلة ضباط المخـابرات السرية الـذين عملوا فى هلسنى ، مروا بها أثنـاء فترة خدمتهم بالعمـل الاستخبارى ، صار هـذا القلق موضع الحديث بين الدوائر الواسعة للبريطانين هناك .

وكان يـوصى المجندين الجدد فى العمل الجاسوسى إبان أزمـة الحرب قائلاً : « إذا كنت تحمل أوراقاً سرية فيتعين عليك أن تثبتهـا بدبوس فى جيوبك السريـة الداخلية » . وكانت هذه التعليمات والنصـائح تتم أحياناً على موائد الشراب والطعـام فى نهاية يوم من العمل الصباحى وبخاصة لضباط مراقبة جوازات السفر .

كما كانت حكاياتهم تخالطها وتشوبها فى الغالب الروايات الملونة المحببة من كيفية تجنيد العمـلاء ، إذ كان يقـول مثلاً « ولقد أخبرت « هـارى » وأوصيته بأن يصـنع كماما « شىء يوضـع فى الفم لمنعه من الكـلام » فى فمه حينما يتوجه إلى الفراش ، ليمنع نفسه من كشف الأسرار أثناء نومه » وهكذا يتصايح السامعون بالضحك والقهقهة .

ولقد تم تجنيد المستر « بيتر فولـك » ، وهو أحد نظـار مدرسـة سابق فى منطقة « رجبى » عام ١٩٤٣ فى شهر مارس منه للعمل فى فـرع المخابرات المضادة ، ووقع عمله فى « القسم فى » وكـان منصبه الـرسمى هو مسـاعد ضـابط مراقبـة جوازات سفـر فى ستوكهولم . وكان المستر « فولك» على وجه الخصوص تجتـذبه للغاية الحكايات المرحة ويستهويه سماعها حتى أنه صار مولعاً بها .

لم يكن « فولك » يتمتع بالطموح كضابط مخابرات ، بل كان قلبه خالياً من الاحقاد وبدأ فى فحص مصادر المستر « كـار » باستقلالية ، اعتقاداً منـه بأنهم معصومون من

الخطأ . غير أنه سرعان ما أصابه التحرر من الوهم فصار وجهاً لوجه مع الحقيقة . واكتشف أن « كار » يعتمد على زمرة من الصحفيِّين البريطانيِّين والفنلنديِّن الذين كانوا يقدمون للمستر « كار » المعلومات فيعيد كتابتها ثم يرسل بها إلى لندن مكودة ومرموزة بالشفرة .

فكان المستر « أوسيان جولندنج » المراسل المقيم لصحيفة « ديلى تليغراف » يزود المستر « كار » بالمعلومات على البحارة السويديين الذين كان يقابلهم بصفة دورية فى البارات وميناء « جوتنبرج » ، كما استفاد من خبراته كمراسل حربى فى الحرب الألمانية الروسية . وذلك فى وقت لم تستطع فيه البعثات الأمريكية ولا البريطانية فى موسكو الحصول على معلومات موثوقة من الحكومة السوفيتية بشأن مسار الحرب .

وسرعان ماصار « فولك » حيران العقل مفعماً بالشكوك فى صحة مصادر « جولدنج » . إذ اكتشف أن ذلك الصحفى كان يستمع بصفة دورية إلى هيئة الإذاعةالبريطانية وإذاعاتها ونشراتها الدولية ، ثم بعد ذلك ينظر فى خريطة كبرى عن روسيا معلقة على حائط غرفة نومه ، ومكتب التقارير حول تحركات الجيش الأحمر مرصعة بأسماء قادة الجيوش الروسية مكتوبة قبل نشوب الحرب . كان ذلك أمراً غير ضار إلا أنه أثار التساؤلات حول دقة المستر « كار » .

كما اكتشف المستر كار أثناء مناقشاتهم الأسبوعيةللمستر « فولك » أن أحد المصادر المهمة للمعلومات هو المدير السابق للمخابرات العسكرية وكان ينتمى بالمولد إلى جمهورية أستونيا المطلة على البحر البلطى ، واسمه الكولونيل « فيلم سارسين » ، وأحد مساعديه واسمه « ريتشارد ماسينج » . وكان كلاهما يخدم فى الجيش الألمانى لاصطياد الفلاحين الشيوعين وإرسال الرسائل من أستونيا إلى ستوكهولم عن الموقف فى روسيا المحتلة أو بخاصة الجزء الواقع تحت الاحتلال الألمانى .

ويقول « كار »: إن أهل أستونيا كانو يقدمون المعلومات إلى أهل السويد ثم يتم إرسالها إلى أجهزة الاستخبارات البريطانية . وكانت هذه التقارير لسببين اثنين يتم تكويدها وإرسالها إلى لندن ، لتلقى الاحترام بعد ذلك وعظيم التقدير . ففى عام ١٩٤٣ ، حصل « فولك » على معلومات من الملحق الجوى الألمانى فى ستوكهولم وهو « كارل هاينيزكريمر » بعد تجنيده عميلاً لدى المخابرات البريطانية .

والذى أدهش « فولك » أنه وجد أن نفس المعلومات يقدمها المستر « سارسين » إلى « كريمير » وأنها كانت فى أحسن الأحوال غير جديرة بالاعتماد عليها . وامتنع « فولك » عن الإفضاء بما يعتمل فى صدره من أسرار عن المستر « كار » ورؤسائه .

تلك كانت الأحوال والظروف السائدة فى عام ١٩٤٤ حينما شرع « كار » فى إقامة ما كان يأمل فى أن يصبح انقلاباً عظيماً وأكبر أعماله قاطبة ، ألا وهوالاختراق الفعال من جانب العملاء البريطانين للاتحاد السوفيتى وبخاصة روسيا عن طريق بلدان البحر البلطى .. وانطلق يحاول تنفيذ المهمة بكل نشاط وإخلاص ودقة ، واحتراساً منه وعملاً بتوجهاته فى التكتم الشديد ، لم يفض بالأسرار إلى المستر « فولك » .

كما كان يعتمد على عملاء ينتمون بجنسياتهم إلى القوميات التابعة لبلدان البحر البلطى الذين كانوا قبل الحرب مصادر هامة لأجهزة الاستخبارات البريطانية فى « ريجا » و « تالبين » ، وهم الذين كانوا يأملون فى عام ١٩٤٤ إعادة تأسيس بلادهم واستعادة استقلالها فى أعقاب الصراع .

على أية حال ، عندما تدبر المستر « كار » السيارات البريطانية إزاء دول البحر البلطى منذ عام ١٩٣٩ ، اقترح التعاون القائم على مبادىء تخلى عنها سراً رؤساؤه وسادته فى لندن .

وعلى مدار التاريخ ، كانت جمهوريات البحر البلطى الثلاث ـ وكلها عبارة عن مجتمعات ريفية لا تزيد مساحتها بحال من الأحوال عن هولندا أو سويسرا ـ ضحايا للغزوات المتكررة والاستعمار من جانب الجيوش البروسيه ، والدانماركية والسويدية والروسية . وبرغم كل الخطوب والمصائب التى توالت على هذه الدويلات الثلاث إلا أنها لم تفقد أبداً قومياتها أو لغاتها أو دياناتها أو هوياتها الثقافية المختلفة عن بعضها البعض ، غير أنها عجزت بمفردها أن تحل مشكلة مصيرها التاريخى المشترك .

وقع أول احتلال لهذه البلدان فى القرن الثانى عشر من جانب فرسان التيتونيك « أو الجرمان القدماء » . وفى عام ١٤١٠ استطاعت « ليتوانيا » التحرير بمساعدة بولندا ، وحدث فى المائة عام التالية على ذلك أنها تعرضت تدريجياً إلى التحول إلى الصبغة البولندية ، وتقاوم الروس ، فى حين أن السويد احتلت جمهورية «أستوينا » و « لاتفيا » .

وفى عام ١٧٢١ ، هزمت روسيا بنجاح السيد فى الحرب واحتلت على نحو تدريجى وتقدمى الجمهوريات أو الدويلات الثلاث . إلا أن تكاملهم مع روسيا من جانب القياصرة والأباطرة الروس أسرع وعجل بتحررهم ، وشعورهم بقومياتهم المتميزة . ولقد كانت مساندة بريطانيا لاستقلالهم عام ١٩١٨ يرجع لسبب المصلحة المباشرة أصلاً : بهدف تشييد كوردون صحى ضد الشيوعيين وحماية الاستثمارات الضخمة المتراكمة إبان العصر القيصرى عن طريق البنوك البريطانية والتجار الانجليز .

وبعد ذلك بعشرين عاماً ، حينما ضاعت الاستثمارات إلى الأبد وصارت بريطانيا أكثر اهتماماً بالتصدى للنازية وليس الشيوعية ، ترددت وزارة الخارجية البريطانية أثناء نظرها المطالب الروسية عام ١٩٣٩ بإعادة ضم الجمهوريات أو الدويلات الثلاث .

وجاءت تقارير دقيقة من شهود العيان فى « كييف » عن مقتل ٣٠,٠٠٠ فرد فى « بابى بار » فى غضون يومين اثنين فى شهر سبتمبر ١٩٤١ . ولقد وضعها فيكتور كافينديش بينتزك بأنها « نواتج الخيال السلافى » . ولقد حكم مبدأ المصلحة الذاتية الذى اتبعته وزارة الخارجية البريطانية ، اعتبارات النظر فى مصير التعهدات التى قطعتها على نفسها للدول المطلة على البحر البلطى .

وفى أبيل ١٩٤١ ، حينما كانت بريطانيا تقاتل النازيين بمفردها ، فإن الفشل البريطانى فى التضحية بالدول البلطية من أجل التبادل بعقد معاهدة مع روسيا ، بدا كما لو كان فرصة مضيعة . ولقد كتب « سار جنت » فى أعقاب حلف « مولوتوف ـ ريبيذتروب » وقبل الغزو الألمانى لروسيا ، إلى زملائه نادماً على أن هذا التنازل لم يتم إبرامه فى عام ١٩٣٩ .

وقال : « لقد أخفقنا فى جعل هذه التضحية بالمبادىء أمراً واقعياً ، ولذلك فقد دفعنا الثمن عقاباً على هذا » . وقال إنه لو قدر أن تعود الفرصة مرة ثانية ، فإنه سيتم لا محالة التضحية بالمبادىء . وبعد ذلك بأربعة أشهر ، حينما تقابل تشرشل ، وروزفلت ، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ظهر سفينة « برنيس أوف ويلز » الراسية فى خليج « بلاسينتيا » ، فى (نيوفوندلاند) ، ثم تجاهل براحمانية « سار جنيت » .

وعلى الرغم من أن الحكومة كانت لا تزال محايدة من الناحية الرسمية إلا أن الرئيس أصر على أنه لن يتسامح مع أى تبادلات خاصة بالأراضى السيادية . ومنذ ذلك

obeikandi.com

الحين أى منذ الضم السوفيتى » أدانت الحكومة الأمريكية « الأنشطة النهبية والسلبية ، التى جردت دويلات البحر البلطيقى من استقلالها .

وفى أكتوبر عام ١٩٤٠ ، أكد الرئيس استعراضياً للمجلس الأمريكى الليتوانى الذى مثل مليون ليتوانى يعيشون فى أمريكا ، بأن استقلال دولتهم لم تضع أو تفقد ، بل « إنها وضعت جانباً بصفة مؤقتة » . ولسوف يأتى الوقت الذى تستطيع فيه ليتوانيا التحرر مرة ثانية . ولسوف يحدث هذا بأسرع مما تتوقعون .

ولما كان الرئيسان قد انشغلا بالحرب الضروس ، فإن القليل من الاهتمام هو الذى كرس للأحداث التى أعقبت الضم السوفيتى لهذه الأراضى ، والذى حدث هو أن ابتلاع الدويلات الثلاث فى بطن روسيا بدأ فوراً فى أعقاب إبرام معاهدة « مولوتوف ـ ريبينتروف » .

ولم يشعر الكريملن سوى ناقل القليل من العطف والرحمة لأولئك قطعاً استمرارية مائتى عام من الحكم القيصرى . إذ تم دعوة وزراء الدويلات الثلاث لتوقيع « اتفاقية دفاع مشترك ومساعدات مشتركة » مع ستالين من شأنها أن تبيح للسوفيت أن يقيموا القواعد العسكرية على أراضيهم من أجل ضمان استقلالها . وحيث أن البديل كان الحرب ، فإن الثلاثة جميعهم وافقوا على مضض على أمل أن يجدوا مخرجاً فيما بعد .

وصانوا علاقاتهم الواهية مع موسكو حتى تسنى للألمان شن الغزو ضد فرنسا فى مايو ١٩٤٠ . وفى نفس الأسبوع ، تم استدعاء الزعماء الثلاثة مرة ثانية إلى موسكو حيث اتهمهم « مولوتوف » بانتهاك « اتفاقيات الدفاع المشترك » انتهاكاً غادراً للغاية ، وأنهم صدرت إليهم الأوامر بتشكيل حكومات متعاطفة مع الشيوعية .

وبحلول ١٨ يونيه ، صار الجيش الأحمر والأحزاب الشيوعية المحلية مسيطرة سيطرة تامة على المنطقة . وتم تحويل المنطقة إلى الزى السوفيتى وطبعها بالطابع السوفيتى على نحو سريع للغاية طالما أنه قد تقرر أن تنضم الدويلات الصغيرة إلى « الأسر المجيدة للاتحاد السوفيتى » . واختفت برلماناتها ، وتحولت عملاتها إلى الروبل الروسى ، وتم حظر الكتب التى اعتبروها غير مناسبة أو لائقة ، وتم تحويل ولاءات الصحف ، وتم أسر والاستحواذ على المصانع والمطاعم والأعمال التجارية والمشروعات ،

ونقل ملكيتها إلى الدولة . والأسوأ من كل شيء أنه تم تحويل المزارع إلى مزارع جماعية .

كان ذلك بمثابة التحول السريع نحو المبادىء الشيوعية والستالينية وهو ماتم عبر المنطقة كلها أثناء ليلة ١١ ـ ١٢ يوليه من عام ١٩٤٠ . وشرعت السلطات فى مداهمة البيوت ليلاً وأسر أفرادها إلى حيث لم يرهم أهلهم بعد ذلك أبداً . وكان الضحايا هم أولئك الذين تحدوا القضية الوطنية ، وسرعان ماتبعهم المنفيون من الروس البيض وأولئك الذين يعملون بالجيش والكنيسة والطبقات المتوسطة الذين كانوا خصوماً مشكوكاً فى ولائهم للسوفيت .

وبعد ذلك بإحدى عشر شهراً ، فى ليلة ١٢ ـ ١٣ يونيه من عام ١٩٤١ ، ضرب ستالين ضربته القاصمة ، حيث تم إلقاء القبض على مائة ألف رجل وامرأة وطفل وحشدوا فى عربات السكك الحديدية وتم شحنهم إلى سيبيريا . وفى مناخ الرعب الذى أمسك بالمنطقة فى الأسبوع التالى ، جلست آلاف العائلات خائفة ذليلة فى بيوتها ، وقد حزمت حقائبها بجوار الأبواب فى انتظار وصول فرق القبض والموجة الثانية من الترحيلات .

وتم إعداد القوائم وانتظرت القطارات للمرة الثانية فى أماكنها حينما ـ زحفت ثلاثة ملايين من الجنود الألمانية فى ٢٢ يونيه تتقدم الغزو الألمانى لروسيا . وفى غضون أيام كان الـ « فيرماخت » قد قطع مسافة كبرى فى المنطقة الواقعة فى نطاق أراضى البحر البلطى وعندها تقهقر وفر الجيش الأحمر ناحية الشرق .

وقد أدى التحرر غير المتوقع والمفاجىء من الإرهاب الستالينى إلى موجة عارمة من العرفان بالجميل صوب الغزاة بسبب تخلصهم من الشر الفظيع وسوء المصير . وفى ليتوانيا ، ثار الجيش القومى ضد الشيوعيين المتقهقرين وأعلنوا إقامة حكومة وطنية مؤقتة ، أما المتمردون فى « كوناس » فقد سيطروا على المدينة من الروس قبل وصول الوحدات الألمانية الأولى .

وفى لاتفيا واستونيا لم يكن ثمة قتال إلا أن زعماءهما كانوا يتعشمون فى استعادة الألمان للاستقلال . ولهذا السبب فقد وجد الألمان ترحيباً بهم كغزاة بسبب تخليصهم أهل البلاد من ربقة الحكم الشيوعى الدكتاتورى الدموى . إلا أنه لسوء حظ الشعوب

المطلة على البحر البلطى التى تنتمى لدويلات البحر البلطى ، فإن هتلر كان يعتبرهم أقل وأدنى من الناحية العرقية ، وأن الاحتلال الألمانى سيكون شبيهاً بالسوفيتى .

وبذلك سوف تتعرض دولهم للدمار ، وبعد وقوع الترحيلات الجماعية ، سوف يصبح السكان الجدد من الألمان . وبدا الطغيان الجديد لفترة مؤقتة نعيماً بالمقارنة بسلفه ، وهكذا فإن الذى استحث السير « اورمى سارجينت » هو الصورة الذهبية للترحيب البلطى بالنازيين ، ليعرب عن ندمه أكثر فأكثر بسبب الفشل البريطانى فى التضحية بالمبادىء .

ووافق « روزفيلت وتشرشل » فى ١٢ أغسطس ١٩٤١ على إصدار إعلان هو الذى أصبح معروفاً فيما بعد باسم « ميثاق الأطلنطى » وكان التبرير بالتضحيات القادمة مستقبلاً ــ حسبما زعموا ــ هو استعادة الحرية والاستقلال ، ونكران أية تغييرات تتعلق بالسيادة على الأراضى تكون مناهضة لأمانى الشعوب المعينة ، واحترام الدولتين العظميين للحقوق السياسية للشعوب فى أن تختار حكوماتها الخاصة بها .

وصار مسئولوا وزارة الخارجية البريطانية يحتقرون أهل الدويلات البلطية ـ كما جاء فى نشرات هيئة الإذاعة البريطانية ــ بسبب ولائهم الواضح للنازيين ضد الروس ، ومن هنا جاء إهمال وتجاهل ماورد بنصوص « ميثاق الأطلنطى » .

وكانت أولى الفرص هى التى سنحت فى ١٦ ديسمبر عام ١٩٤١ ، حينما اجتمع وزير الخارجية البريطانى مع ستالين فى موسكو لمناقشة بنود ونصوص التحالف . وأثناء الأشهر السابقة ، وبينما كانوا يعدون العدة لعلاقة جديدة مع موسكو ، أقنع التعاون الواضح من جانب الدويلات البلطية مع النازيين أقنع « ايدين » وكبار مسؤليه بأن تقديم عرض بالاعتراف بضم روسيا الدويلات الثلاث سوف يغرى ستالين بعقد تحالفٍ أو حلف معهم .

وفى الواقع ، متى ما أصبح « ايدين » فى موسكو ، طالب الديكتاتور السوفيتى بالاعتراف البريطانى بالضم السوفيتى وإثبات النوايا البريطانية . أما ايدين الذى كان غير مدرك بالترحيلات الجماعية للشعوب البلطية إلى سيبيريا أبلغ تشرشل أنه اعتبر الاقتراح غير معقول إذا صاحبه استغناء يكون الروس بمقتضاه قادرين على التنظيم بطريقتهم الخاصة .

وساند المسئولون وجهات نظره حيث أن الاستقلال الخاص بالدويلات البلطية

كان على أية حال « عرضاً غير دائم » ولم يكن يساوى مقارنته بالتحالف . والذى أدهش ايدين ، أن تشرشل تحرك بوحى من ضميره الخاص وانتظاراً لمعارضة روزفيلت ، أصدر الفيتو ضد الفكرة .

أما وزير الخارجية الأمريكى « كورديل هال » فقد كتب إلى ايدين يقول : إن قبول المطالب السوفيتية من شأنها أن تدمر معنى إحدى القضايا الأكثر أهمية الخاصة بميثاق الأطلنطى وسوف تفضى إلى تقويض قوة الوثيقة من أساسها .

ولقد تبينت الأمور على نحو جلى بعد ذلك بعام واحد . حيث أنه فى أبريل من عام ١٩٤٢ ، الذى كان متوقعا وصول « مولوتوف » فيه إلى لندن للتفاوض بشأن البنود النهائية الخاصة بمعاهدة رسمية مدتها عشرون عاماً ، أعد مجلس الوزراء نفسه لتجاهل تحذير « هال » وتقديم التنازل للسوفيت . غير أن اللحظة لم تتحول إلى الواقع .

فلم يذكر « مولوتوف » الذى كان يخشى من أن يؤدى المطلب إلى إعاقة إبرام المعاهدة ، أى شيء من الضم . وبذلك أنقذ القدر وزارة الخارجية من مهانة عرض تقديم هذه التضحية .

وفى الأشهر التالية ، وافق « سومنر ويليس » بوزارة الخارجية الأمريكية على أنه ليس هناك أية مصلحة حيوية فى معارضة اتحادهم مع روسيا ، وأصبح روزفيلت رجلاً برجماتيا على نحو يشعر بالبرودة .

وقال الرئيس الأمريكى روزفيلت لرئيس وزراء بريطانيا أنتونى ايدين إن الجيوش الروسية سوف تتمركز فى الدويلات البلطية فى زمن السقوط فى ألمانيا ، ولن يستطيع أحد منا أن يستخدم القوة فى إخراجها . ولهذا السبب ، حصل ايدين على موافقة مجلس الوزراء فى أن أية تسوية سلمية أوروبية يجب أن تقوم على كل من مبادىء ميثاق الأطلنطى بشأن الاعتراف بحدود روسيا فى ٢٢ يونية ١٩٤١ .

وكان الجيش الأحمر ، قد كسب المعركة الخاصة « بستالينجراد » وذلك بعد تضحية عظيمة وصارت النتيجة النهائية للحرب معلومة ومعروفة بل ومحدودة . وذهب روزفيلت ــ معترفاً بقوة السوفيت ــ إلا أن ثمة غرض ضئيل فى الصدام مع ستالين بشأن مصير الدويلات البلطية . وسادت الروح العاطفية حينما اجتمع الرئيس الأمريكى مع نظيره الروسى فى طهران فى ١ ديسمبر ١٩٤٣ على انفراد .

obeikandl.com

واندهش ستالين من جراء الصراحة الأمريكية . وقال روزفيلت : « إن ما أرغب فى شرحه لك يتعلق بالسياسات الأمريكية الداخلية . اذ أنه وفقا لدستورنا يجب علينا خوض الانتخابات فى عام ١٩٤٤ . ولا رغبة لى فى خوضها غير أن استمرارية الحرب تحتم على البقاء ، إذ لاخيار لى فى ذلك .

وأومأ الديكتاتور السوفيتى برأسه معرباً عن تفهمه للمأزق ، الأمر الذى أسعد المسئولين الأمريكين الحاضرين . ومضى روزفيلت قائلا : « ثمة عدد هائل يتراوح مابين ستة إلى سبعة ملايين أمريكى من أصل بولندى » وإنى كرجل عملى وواقعى ، لاأريد أن أفقد أصواتهم . كما أننى أتفهم موقفكم بشأن تحريك حدود بولندا صوب الغرب ، إلا أننى بسبب الانتخابات ، لاأستطيع الخوض فى أية مناقشات علنية حول الموضوع المثار حالياً . فجاء رد ستالين قصيراً ولكنه مهدىء ومسكن : « الآن شرحت كل شىء وإننى لأتفهم موقفكم تماماً » .

واستطرد الرئيس الأمريكى يقول : « كما أن هناك الكثيرين من الناخبين اللتوانين واللاتينيين والاستونيين فى داخل الولايات المتحدة . وإننى أتفهم جيداً أن الدويلات الثلاث كانت من الناحية التاريخية جزءٌ من روسيا .. وان ... » .

وهكذا استطاع روزفيلت حل أية مشكلة من الممكن أن ترد على ذهن ستالين وهو باسم الثغر هادىء الجدال رزين العقل . ثم قال مازحاً : « وحينما تعاود الجيوش السوفيتية احتلال تلك المناطق ، فإننى لاأنوى خوض الحرب بشأن مستقبلها »

وهنا ضحك ستالين بينما استطرد روزفيلت قائلاً : « إلا أن القضية الكبرى داخل الولايات المتحدة الأمريكية هى التى تتعلق بمسألة تنظيم استفتاء حول حق هذه الشعوب فى تقرير مصيرها . ذلك أن الرأى العام العالمى سوف يطالب بإيضاح حول إرادة هذه الشعوب . وربما لايتم ذلك فور الاحتلال السوفيتى ولكن فى مرحلة اخرى » .

غير أن وجه ستالين الذى ظل ساكنا لحظة وبرهة من الزمان بدون أن يكشف أية عواطف ، سرعان ما تهلل مبتهجاً حينما أضاف روزفيلت قائلاً : « على الرغم من أننى واثق من أن الشعب هناك سوف يصوت للانضمام للاتحاد السوفيتى » .

وكشف رد ستالين مدى دقة روزفلت فى التعامل مع شريكه ، وقال ستالين إن الجمهوريات الثلاث لم تتمتع بالحكم الذاتى تحت إمرة وسيادة الأباطرة القياصرة ، وكانت روسيا كذلك حليفة لكل من بريطانيا العظمى والولايات المتحدة . ولم يذكر أحد

على مدار المائتى عام مسألة الرأى العام ، وأفصح قائلاً : « إننى لاأرى سببا وجيهاً الآن فى إثارة هذه المسألة » .

فقال روزفيلت يوافقه فيما ذهب إليه : « الحق فى هذه المسألة هو أن العامة لم يعرفوا ولم يفهموا ، غير أن الأمر سيكون باعثاً على المساعدة والعون لى شخصياً إذا أصدر المارشال (ستالين) إعلاناً عاماً حول تنظيم أربعة انتخابات ، ذلك الإعلان الذى سبق أن أشرتم إليه » .

فابتسم ستالين وصرح قائلاً : « سيكون هناك الكثير من الفرص من أجل التعبير عن إرادة الشعوب » وحل بذلك مأزق الانتخابات الأمريكية التى أزعجت روزفيلت . ولما تم للزعيمين إغلاق ملف الدويلات البلطية ، انتقلا لمناقشة إنشاء منظمة أمم متحدة من شأنها أن تضمن مستقبل العالم فى الحرية والسلام .

وكانت النتيجة العملية الأولى هى أن سفراء الدويلات البلطية فى لندن كانوا تعرضوا للنزول بمرتبتهم إلى قاع القائمة الدبلوماسية . وهؤلاء الشعوب والمسئولون القادمون من دويلات البحر البلطى لم يتعرضوا أبداً للمقاساة والمكابدة من جراء المهانة فى واشنطن .

وعلى الرغم من أن وسائل الإعلان البريطانية والأمريكية ـ التى داهنتها حكوماتهم قدمت صورة ذهنية إيجابية عن التحالف الثلاثى الكبير ، إلا أن الحقيقة هى الشكوك المتبادلة المواظبة التى لم يبددها من حين لآخر سوى النوايا الأصيلة .

وفى طهران ، كان تشرشل مشغولاً خصوصاً بالمعاملة الخاصة التى لقيها وأشعرته بأنه يأتى فى المرتبة الثانية بعد الفارسين الكبيرين روزفيلت وستالين إذ على الرغم من الابتسامات أمام المصورين ، إلا أن رئيس الوزراء شعر عمداً بأنه تعرض للازدراء من جانب الرئيس روزفيلت أمام ستالين .

وبدا روزفيلت مهتماً بإقناع الزعيم الروسي بأن الانجلوساكون لم يعودوا تقوم لهم قائمة ، بينما بذل الزعيم الروسى جهده للتعجيل بانقسامات بين الحلفاء . وهكذا ألفى ونستون تشرشل نفسه معصوراً بين العملاقين ، وكان يحاول جاهداً أن يعزز من التحالف مع موسكو ، غير أنه ظل مشكوكاً فى أمره فى عيون السوفيت .

فهو على أية حال كان يجاهر علانية بمساندته لمحاولات الإطاحة بالبلاشفة قبل

ذلك بعشرين عـامـاً ، وتلك تـركة لايمكن نسيـانها أو التكتم عليها . وتشكك ستـالين فى صـدق وأصالـة حديث تشرشل على الـرغم من أوامـر رئيس الوزراء إلى رئيس جهـاز المخابـرات البريطانية السريـة وهو « ستيوارت مينـريس » عام ١٩٤١ ، بإيقاف كـافة الأنشطة المعادية للاتحاد السوفيتى أو حتى قصم الصلات مع العملاء والمبلغين .

كانـت شكوك ستـالين لها مايبررها تمامـاً . اذ كانت عـواطف وتـوجيهات المستر تشرشل قد انعكسـت رأساً على عقب وبعنف وشـدة . ففى بعض المناسبـات كان يلعن البلاشفـة ، ثم بعدها حينما أزعجته الانتصـارات الروسية ،جعل لعـواطفه تتغلب على قناعـاته القلبية واعتنـاقاته التى آمن بها مـدى الحياة بأن الشيوعيين لايمكن الـوثوق منهم .

وفى طهـران ، ثم بعد ذلك فى مـالطـا ، كان يسعى للصـداقـة لأنه أعجب بستـالين كعضـو فى نادى الـزعماء . إلا أن مخاوفـه من سياسـة التـوسع السوفيتى والعـدوان والانحراف استفزته ليقوم بشن الهجمات الطائشة ضـد البربرية التاريخية لروسيا أو الانخراط فى الصمت .

ولقد علم « مينـزيس » أن تشرشل يتعرض لتأثيرات العـواطف المختلطة واعتبر أن جهاز المخابـرات البريطانية السرية قـد أوقف فى عام ١٩٤٤ عملياتـه وأنشطته الخفية ضد الاتحاد السوفيتى . وكانت أسس المبادرة ترجع إلى سوء الثقة من جانب البلاشفة . وعبر عن ذلك ثـلاثة رؤسـاء أركان حـرب هم : السير « الآن بروك » والسير « تشـارلز بورتال » والسير « أندرو كابنجهام » .

وفى صيف عـام ١٩٤٣ ، وجه الـرؤساء العسكـريون الـدعوة إلى مسئـولى وزارة الخارجيـة البريطانيـة للشروع فى المنـاقشـات التى اقتصرت على كبـار القادة ، حـول السياسة البريطانية على زمن السلم . وكـان منبر اجتماعهم هو « لجنة التخطيط لما بعد العداوات » وفى أولى اجتماعاتهم ، استعرض الثلاثة السيناريوهات القائمة على افتراض أنه بعد هـزيمة النازى سوف تصبح روسيـا للمرة الثانية العـدو الأول لبريطانيا .ولم يتفق ممثلوا وزارة الخارجية البريطـانية بشأن حتمية العداء إلا أن المنـاقشات مع ذلك تواصلت . وبدأت تودداتهم تختفى فى أوائل عام ١٩٤٤ . واقتنع رؤساء الأركان بأنه فى أعقاب الحرب سيكون هناك مـوجهات عسكرية مع روسيا فى اليونـان ، وتركيا ووسط أوروبا .

واقترح مسئولو وزارة الخارجية الذين أخذتهم الدهشة أن أية خلافات سوف يتم

تسويتها عن طريق المفاوضات . إلا أن هذا الأمر قد ألقى جانباً من جانب التحليل العسكرى الإجماعى الذى قال بأن السوفيت أشرار ، ووصلت الخلافات ذروتها بعد سبعة أسابيع من الابرار الأرضى فى يوم شن الهجوم بنهاية يولية من عام ١٩٤٤ .

وقدم رؤساء الأركان فى اجتماعهم باللجنة المذكورة سيناريو لما بعد الحرب كان بمثابة ابتعاد راديكال عن سياسة وزارة الخارجية . وقالوا : إن الولايات المتحدة سوف تعود إلى سياسة العزلة وأن الخيار الوحيد لبريطانيا لتجنب « خسران السلام » هو دراسة التحالف الإضافى مع ألمانيا ضد روسيا .

وعلى الرغم من أن التقييم السائد كان لايزال يذهب إلى أن الحرب سوف تنتهى بحلول أعياد الكريسماس (أعياد الميلاد) ، فكان هذا الاقتراح اقتراحاً راديكالياً . ففى الماضى ، كان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يخضعون بصفة مؤقتة لوجهة النظر الكئيبة القائلة بأن الحرب مع روسيا ممكنة وواردة مالم تكن حتمية ، ولكن النتائج العسكرية لم تكن عرضة للنقاش .

ورفض السوفيت مساندة الجيش البولندى الداخلى وانتفاضته داخل وارسو ، وهى التى تسببت فى آلاف من القتلى واكتشاف المقابر الجماعية فى غابات « كاتين » التى حوت الضباط البولنديين الذين قتلهم الروس . وكان هذا أمراً غير قابل للتبرير أمام أعين رؤساء الأركان ، وكان بمثابة المثير للعداء والخوف فى رأيهم .

وارتسمت خطوط المعارك بين الرؤساء الأركان ووزارة الخارجية بصفة رسمية عشية زيارة تشرشل إلى موسكو فى أكتوبر ١٩٤٤ حيث قسم رئيس الوزراء البريطانى ونستون تشرشل ، والزعيم السوفيتى ستالين بجرة قلم أوروبا وفقا لاتفاقية قائمة على النسبة المئوية .

وفى خضم أحد الاجتماعات المتوترة بين ايدين وسارجينت فى ٤ أكتوبر ، رفض رؤساء الأركان الثلاثة قبول أن ألمانيا هى العدو الممكن الوحيد لبريطانيا وكسب المناقشة بقوله بأن التخطيط للطوارىء فى الحرب مع روسيا يجب أن يستمر إلا أنه يقتصر على « دائرة ضيقة ومحدودة جداً » .

ووافق الرؤساء بناء على طلب « سارجنت » بأن مناقشاتهم وسجلاتهم سوف يتم إعطاؤها « معالجة أمنية خاصة » بسبب خوفه من أن شبح الدب » ربما يلقى بظلاله على الأوراق والوثائق . وكان مسئولو وزارة الخارجية البريطانية يتشككون أصلاً فى

وجود الجواسيس السوفيت فى « وايتهول » لأن الأجهزة الحكومية على زمن الحرب تصبح أقل استعداداً إلى استبعاد الشيوعيين من العمل السرى .

وفى الواقع ، كانت أعداد وأعضاء الحزب الشيوعى معروفة بأنها وضعت فى المناصب التى تمكنهم من الاطلاع على المعلومات والوصول إليها وبخاصة المعلومات ذات السرية العظمى ، وطالما أن كلا من المسئولين العسكرين ومسئولى وزارة الخارجية البريطانية صاروا يقترحون للمرة الثانية بأن روسيا هى العدو والتهديد المستقبلى الكامن ضد بريطانيا فكان من الطبيعى فى نوفمبر ١٩٤٤ بالنسبة للسير « ستيوارت مينزيس » أن يخطط لإعادة إقامة القسم رقم ٩ ألا وهو القسم المناهض للاتحاد السوفيتى .

وتوقع تعيين « فيليكس كوجيل » رئيساً للقسم ، وقد كان قد أدار بنجاح القسم رقم ٥ ، وهو فرع المخابرات المناهضة (المضادة) . إلا أن مينزيس تعرض للإقناع بتعيين رئيس القسم « ايبيريا » التابع للمخابرات البريطانية وهو « هارولد كيم » « فيلبى » ليترأس على هذا القسم .

وطلب مينزيس من فيلبى أن يعيد بناء القدرات المضادة للجاسوسية داخل أجهزة الاستخبارات البريطانية للبحث عن العملاء السوفيت الذين يعملون فى الخارج إلا أنه فى إطار اجتماعاتهم الأولى ، كان « فيلبى » يسعى إلى موافقة « مينزيس » لتوسيع القسم رقم ٩ ومسئولياته ليشمل على الجاسوسية البريطانية داخل الاتحاد السوفيتى .

وفى ضوء مناقشات وزارة الخارجية مع رؤساء الأركان ، شعر مينزيس بالبغض والمقت ضد اقتراح « فيلبى » . وقال : إن جهاز المخابرات البريطانية السرية فى حاجة إلى بعث وإحياء مقدرته على جمع الاستخبارات والمعلومات داخل الاتحاد السوفيتى . وتلقى « فيلبى » موافقة رسمية فى فبراير عام ١٩٤٥ وشرع فى الاتصال بأولئك الضباط الذين تؤهلهم خبراتهم السابقة لتولى العمل والمسئوليات الجديدة فى هذا القسم الجديد . وكان من بينهم المستر « هارى كار » رجل مخابرات ستوكهولم .

ومنذ بداية العام ، قال المستر « كار » لـ « كولبى » : انه جمع هو و « بوسلى » معلومات استخبارية من دول البحر البلطى وأقام صلات لاسلكية مع المقاومة فى

لاتفيا : وقال « كار » فى تقاريره : إن السويد تطورت إلى موقع مثالى لمراقبة الاتحاد السوفيتى بسبب التدفق المتزايد من اللاجئين القادمين من دول البحر البلطى .

وحتى عام ١٩٤٤ ، وصلت مجموعة هزيلة من هؤلاء اللاجئين ولكنهم لم يجدوا ترحيباً بهم لدى الاستقبال فى ستوكهولم . وكانوا أصلا قد فروا من الروس ثم بعد ذلك من الألمان . وفى عام ١٩٤٢ ، لم يعد أهل البلطيق مرتبكين بشأن ماإذا كان الألمان قد جاءوا محررين لهم أو فاتحين لبلادهم .

ولم تعد إليهم ممتلكاتهم التى صادرها الروس ، كما أن عملتهم الروسمية انخفضت قيمتها . فضلاً عن ذلك شرعوا فى استئناف عمليات القبض والترحيل . وفى الوقت الذى تم فيه إرسال بعض قوميات تنتمى إلى بلدان البحر البلطيقى إلى ألمانيا للعمل فى المصانع وكتائب العمل ، ثم حشد النازيون حوالى ربع مليون يهودى من الذين وقعوا فى شرك الخطوط النازية ليتم إبادتهم .

إلا أن هذه المذابح لم تظهر فى المظاهرات والاحتجاجات القومية بشأن مصير أوطانهم ، وبخاصة فى التقارير المرسلة إلى « كار » وسائر عملاء استخبارات الحلفاء فى ستوكهولم . إذ كان جل اهتمامهم عام ١٩٤٤ هو وشوك إعادة الروس احتلال بلادهم من بلدان البحر البلطى .

ولقد حولت الحكومة السويدية ولاءها بعيداً عن الألمان وصارت تدين بالوفاء إلى الحلفاء ، وهو أمر عكس اهتمامها أساسا بمصالحها حيث أن التفوق الألمانى الذى كان أمراً لايشق له غبار أو ينازعه أحد قد عفى عليه الآن الدهر ، وذهبت قوة ألمانيا أدراج الرياح .

ولم تكن دول أوروبا الغربية ومنها فرنسا وبريطانيا تتوقع أن تتحول السويد على هذا النحو المثير للدهشة ، وبخاصة لو علمنا أن السويد كانت دولة مؤيدة للجنس الآرى ومعادية للشيوعية . وكان هذا أمراً ظاهراً ، وتبدى من خلال الخلافات التى صارت بين السويديين المؤيدين والمتعاطفين مع الحلفاء وأولئك المؤيدين والمتحالفين مع النازيين .

ولعل هذا الانقسام كان من الوضوح بحيث يمكن ملاحظته ، إذ اكتشفت أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية أن ثمة انقسام بين أجهزة المخابرات السويدية التى تنقسم إلى قسمين كبيرين : الأول هو المخابرات العسكرية المعروفة باسم : « سفينسا

ميلتو جانست » والوكالة المدنية (المخابرات العامة) المسماة باسم « ألمانر ساكيرانست » .

ولم يختف هذا الانقسام فى عام ١٩٤٤ ، إلا أن الأولوية عند المخابرات السويدية أصبحت التقارب مع التوجهات والأهداف التى تعمل انطلاقا منها كلا من المخابرات البريطانية السرية ، والمخابرات الأمريكية التى كانت تعرف حتى ذلك الحين باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » قبيل تأسيس وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة . واستهدفت كل هذه الأجهزة الاستخبارية اكتشاف اتجاه حركة الحرب عبر منطقة البحر البلطى .

وكان السويديون يخشون أولا وقبل كل شىء من أن يكون الروس يزمعون تحرير الدانمارك والنرويج ثم غزو السويد كأمر محتمل . فاعتمدوا على العملاء كمصدر مثالى للمعلومات وهم الذين اخترقوا الدول البلطية . وفى عام ١٩٤٤ ، سمع « كار » أن كلا من أجهزة المخابرات السويدية (العسكرية والمدنية) كانت تعد العدة للاختراق فكان أمراً طبيعياً أن تتلقى المخابرات البريطانية بعض المنافع والفوائد .

كان وجود المخابرات البريطانية فى السويد يعتمد موافقة السويد حول مسألة أن أية عملية تقترحها الأجهزة الاستخبارية البريطانية لن تكون بمثابة الانتهاك لحياد الدولة المضيفة . ومن هنا كان لزاماً على المستر « كار » أن يفوز بالحظوة لدى المخابرات السويدية ، تماماً كما فعل من قبل فى فنلندا . فكان من بين أفضل اتصالاته تلك التى أجراها مع السيد « اكى إيك » من جهاز الاستخبارات العسكرية السويدية .

وكان السيد « إيك » قد خطط قبلا مؤامرة دقيقة للاختراقات . فاستطاع باستخدام أسطول صغير من الزوارق الصغرى وبموافقة الحكومة السويدية أن يبدأ فى عبور البحر البلطى فى مهمات انتحارية ، من أجل جمع واستعادة اللاجئين . وكان معظم حالات الوصول خاصة بالمدنيين الأبرياء الذين فروا للنجاة بأنفسهم وأرواحهم ، إلا أن البعض الآخر جاء إلى السويد سعياً إلى العون والمساعدة ، فضلاً عن أن هناك مجموعة عاشت فى الغابات خوفا من الترحيل .

كان معظم الأفراد يتشككون فى أن يكون المستر « اكى إيك » متعاطفاً مع الألمان ، فقد كان يحبذ على وجه الخصوص أن يكون الضباط الألمان والجنود النازيون ومصادر الرايخ الثالث الألمانى هى مصادره الاستخبارية . حيث كانت مميزاتهم والثقة

فيهم باعتبارهم أعداء للشيوعية وخبراتهم المكتسبة .. كلها ذات قيمة لاتقدر بمال .

وبرغم المعرفة بأن واجباتهم الأخيرة اشتملت على القيام بعمليات التعذيب والترحيل والإعدام ، إلا أن السلطات السويدية اعتبرت هؤلاء الضباط أبطالاً اضطلعوا بمهام وطنية ، وبأنهم تلقوا تفويضات لاغتيال وتصفية الخونة لأنهم ضحايا هم كانوا فى الغالب « شيوعيين » .

وتم تشغيل بعضهم لدى وصولهم إلى السويد كموظفى أرشيف حكوميين وذلك ليتسنى فيما بعد منحهم الجنسية أو المال للهجرة إلى جنوب أمريكا . ونظم المستر « إيك » فى صيف ١٩٤٤ أولى عملياته التى بلغت الستين ، ونقل العملاء التابعين له فى زوارق الإنقاذ للقيام بمهمات استكشافية وعمليات استطلاعية ذات مدى قصير .

وتم العهد بالمسئولية عن الاتصالات نيابة عن المخابرات البريطانية السرية مع المستر « إيك » إلى فريق المستر « كار » وبخاصة عضو هذا الفريق وهو الذى أطلق عليه اسم « إليكسندر ساندى ماكيبين » . وكان مولده فى موسكو عام ١٨٩١ ، لأب ثرى يمتلك أحد الأسواق التجارية وكانت عائلته تعيش على مدار جيلين من الأمان فى روسيا .

وكان « ماكيبين » شأنه فى ذلك شأن المستر « كار » يتمتع بالتحدث بطلاقة اللغة الروسية ، ويحب وطنه وكان يفزعه الثورة البلشفية . وفى السنوات التالية حينما انغمس فى إرسال العملاء إلى روسيا ، كان يقص ويحكى مازحاً القصة الخاصة بكيفية صناعته لقنبلة عام ١٩١٧ كان ينوى إلقاءها على مبنى الحزب الشيوعى ، ولكن لم يوقفه أحد سوى أبيه . الذى قال له حينذاك : « لاتنس أنك أصلاً سكوتلندى ، وأن مايفعله الروس لاشأن لك به » .

واستطاع « ماكيبين » أثناء سنوات الحرب أن يقيم لنفسه سمعة طيبة كتاجر شهير ومعروف فى « تالين » ، وعلى الرغم من أنه لم يكن عميلاً أساسياً (كل الوقت) داخل أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية ، إلا أنه كان جاسوساً موثوقاً فيه يتحدث اللغة الاستونية ، والروسية والألمانية ، واستطاع بمساعدة « هلمى » زوجته الفنلندية أن يشيد شبكة واسعة من الجاسوسية بين أجهزة المخابرات الاستونية والعسكرية والسياسية .

وفى عام ١٩٣٩ هرب « ماكيبين » إلى هلسنكى ، وتخلى عن أعماله وبيته وممتلكاته . ووصل وهو يمقت ويشمئز من البلاشفة أكثر من ذى قبل . ذلك أنه استمر

فترة من الـزمن يورد المعلـومات إلى « كـار » وهى التى كـان يحصل عليها من خـلال حلقات الصلة والشخصيات الاستونية وبخاصـة شبكة من البحارة أقامها دبلوماسى سابق وجاسوس بـالمخابرات البريطانية هو « الكسندر فـارما » إلا أنه فى عام ١٩٤٠ ، عـاد أخيراً إلى بـريطانيـا . وفى أواخـر ١٩٤٣ ، وصل إلى ستـوكهولم كضـابط كـامل المسئوليـات فى أجهزة الاستخبارات البريطـانية ، وقـد جاءت تكليفات لبنـاء شبكة من الجواسيس الـذين ينتمون إلى قـوميات بلطيـة ، وهى التى من المقرر لها أن تتـوسـع فى روسيا نفسها فيما بعد .

وكان المستر « وولتر زيلينكاس » البالغ من العمر ٣١ عاماً وهو دبلوماسى صغير سابـق ، كان حلقـة الصلة بين المستر « ماكيبين » فى استـوكهولم مع ليتـوانيا . تقـابل الرجلان لأول مرة قبل اندلاع الحرب فى السفارة الليتوانية فى تالين .

ولم يكن المستر « زيلينكـاس » ورئيسه « فيتـوتـاس جيليس » أية خط اتصـالات مباشر مع ليتوانيا إلا أنهما كانا يتلقيان جمهـرة من المعلومات من الكولونيل « كازيس سكيربا » ، الممثل الليتوانى فى برلين ، تلك المعلومات التى كـانوا يعيـدون تقديمها إلى « ماكيبين » .

ربما كانت مصداقيـة سكـيربا موضعاً للتساؤلات أمام المستر « ماكيبين » إلا أن « زيلينكاس » طمـأن الرجل البريطـانى أن « سكيربا » ليس مـواليا للنـازى ، وإنما هو فحسب رجل معادى للروس .

كان الليتوانيون يجدون فخـاراً ويتفاخرون بإلحاقهم الفشل بألمانيا حينما أرادت إنشاء كتيبة ضاربة ، إلا أنهم كانوا يحذفون ذكر حقيقة أن حوالى ٢٠,٠٠٠ ليتوانى قد انضموا إلى « الكتائب البوليسية » ، وكانت هذه الكتائب بالفعل عبارة عن فرق اغتيالات وجـريمـة تضطلع بتنفيـذ الحل النهـائى ، فى حين أن الآخـرين كـانـوا يحاربـون مع الجماعات النظامية التى أطلق عليها اسم « فيرماخت » ، ضد الفلاحين الشيوعيين .

بدلاً من ذلـك ، كانوا يمجـدون فضائل الجنـرال « بوفيـلاس بليخافـوس » الذى استطاع تجنيد ٣٠,٠٠٠ جندى للحرب ضـد السوفيت ، وذلك بالاتفاق مع الألمان ، ثم سرعان مـا أصدر أوامـره بهجر القضيـة حينما نكث الألمان بوعـودهم فان تلـك القوة ستبقى جيشاً ليتوانياً ، ولن يتم دمجه فى الجيش الألمانى .

وفى خـريف عام ١٩٤٤ ، علم المستر « مـاكيبين » أن هذه القـوة المدربة مـاهى إلا دعامة جيش متزايد من الفلاحين المعـادين للشيوعية سوف يجتذب مئات الليتوانيين ،

الذين سيفرون إلى الغابات استعداداً للقتال حتى الموت .

واقترح « زيلينكاس » أن أكثر حلفاء الغرب مصداقية فى المنطقـــة هى منظمة تدعى « فليك » أو « اللجنة العليا لتحرير لتوانيا » . وشرح الدبلوماسى السابق الحقائق القائلة بأنه على الرغم من أن « فليك » كانت تتعـاون مع الألمان ، إلا أن قيادتها وزعامتها كانت مناهضة للشيوعية .

ووجدت أجهزة الاستخبارات البريطانية أنه من الواجب إقامة حلقة اتصـــالات مع « فليك » هى التى سـوف تنسق وتتـزعم المقـاومـة حينما يصل الجيش الأحمر ، كـان مـرشح المستر « زيلينكـاس » للمهمـة هو « الجير داس فـوكيتيس » ، أحـد القـوميين المعادين للألمان .

كان المستر « ماكيبين » تواقاً إلى المساعدة إلا أنه كان يفتقد إلى المال . ومن هنا اتفق على أن يتودد « زيلينكاس » إلى ممثلى الاستخبـارات الأمريكية المعروفـة باسم « مكتب الخدمات الاستراتيجية » ، أمـا السفير الأمريكى فى ستوكهولم « هيرشيـل جونسون » فقد كـان ينظر إلى الأنشطة الاستخبـارية على أنها « ممـارسة شيطانيـة » ،وأعاق مثل نظيره البريطانى ضباط مكتب الخدمات الاستيراتيجية كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

تألم عدد من الـرجال من بينهم « ايفر أولسين » الذى كـان يعمل رسمياً سكرتيراً مالياً فى السفارة ، وهو الذى كان عـام ١٩٤٤ أيضاً قد تلقى إعارة للعمل ملحقاً خاصاً فى « هيئة لاجئى الحرب » .

أسس هذه الهيئة الرئيس روزفيلت لإنقاذ ضحايـا الاضطهاد النازى الذين كانوا لايزالون يعيشون فى أوروبا . وكانت أساليب الهيئة هى إما بذل الضغوط الدبلوماسية أو اتخاذ العمل المباشر ، وكـانت ميزانيتها تبلغ ربع مليـون دولار ، وهو مبلغ ضخم فى ذلك الحين . واستأجر المستر « أولين » بالاتفـاق مع الحكومة السويـدية زوارق لعبور البحر البلطى من أجل إنقاذ المضطهين .

وكان من بين نجاحاته الشهيرة هى إرسال « راوول والينبرج » إلى المجر حيث أنقذ السويـدى آلاف اليهود . وأنقذ جهود « أوسلين » ألف ومـائتى شخص إلا أن محاولاته استخدام نفس الزوارق للتسلل وبث العملاء للاختراق ، فقد وقعت فى المحظور ، ذلك أن تعليمات الـرئيس الأمريكى حـرمت القيـام بأيـة أنشطة من شأنها أن تجعل ستـالين يعتبرها أنشطة معادية .

وفى عام ١٩٤٢ ، قال الرئيس روزفيلت للمستر « وليام دونوفان » مؤسس ومدير مكتب الخدمات الاستيراتيجية : إن الاتحاد السوفيتى لاينبغى أن يكون هدفاً للمخابرات من جانب الاستخبارات الأمريكية ، وبالتالى يجب إيقاف كافة العمليات . وفى العام التالى ، حاول « دونوفان » أن يقلب هذا الحظر ، إلا أنه على الرغم من تلقيه موافقة شفهية من أركان الحرب المشتركة كانت سياسة الرئيس هى القيام بإحداث التعاون الوثيق .

وبحلول ديسمبر ١٩٤٣ ، بلغت الأمور ذروتها بتوقيع اتفاقية على مستوى عال بين مكتب الخدمات الاستيراتيجية والبوليس السرى السوفيتى المعروف باسم « إن - كيه - فى - دى » لتبادل المعلومات والممثلين . وأوضحت مذكرة داخلية لمكتب الخدمات الاستيراتيجية موقعة بتاريخ ٤ فبراير عام ١٩٤٤ بعنوان « المعلومات الاستخبارية المقدمة إلى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية » ، أوضحت أن روسيا سوف تعطيها معلومات استخبارية ربما تكون ذات أصل منفرد بين معلومات مكتب الخدمات الاستيراتيجية وربما كان من شأنها أن تسدى النفع الكبير لتلك البلاد أثناء انخراطها فى الحرب ضد ألمانيا .

أما « ادجار هوفر » مدير مكتب الاستخبارات الفيدرالية فقد أعاق التبادل الخاص بهيئة العاملين ، فى حين أن « دونوفان » أطاع الرئيس وقدم حوالى ١٥٠٠ صفحة من الأكواد السوفيتية التى حصلت عليها محطة مكتب الخدمات الاستيراتيجية فى ستوكهولم من « رنيو هاللام » الرئيس السابق للمخابرات الفنلندية الذى كان فى المنفى بالسويد .

أما الهدية الأخرى التى قدمها روزفيلت إلى ستالين عام ١٩٤٤ ، فقد كانت عبارة عن دوسيه استخبارى ملىء بالمعلومات عن المقاومة فى لاتفيا ، وكان مكتب الخدمات فى ستوكهولم صنعه من واقع المقابلات الشخصية مع اللاجئين . وعلى مدار عام ١٩٤٤ كان التدفق الاستخبارى يتم بصفة خاصة فى اتجاه واحد من الغرب إلى الشرق .

ووافق « أوسلين » بناء على طلب اثنين من الدبلوماسيين اللتوانيين هما «زيلينكاس» و « جيليس » على تمويل تسلل « الجيرداس فوكيتس » إلى الاتحاد السوفيتى وبخاصة المنطقة التى تسيطر عليها ألمانيا .

وبعد تلقيه المعلومات فى ربيع عام ١٩٤٤ ، هبط « فوكيتس » على شاطىء قريب

من « بالانجـا » مزوداً بأوامر للاتصـال مع أحد مشغلى أجهزة اللاسلكى « الـراديو » المدربين جيداً ، والـذى كانـت مهمته تقتصر على إجـراء اتصالات الفـلاحين الليتوانيين بالسويد ، وتعليمهم كيفية عمل ذلك .

بعد ذلك بأسبـوع قبض على « فوكيتس » وأرسل إلى معسكرات التعـذيب الألمانية المعروفـة بمعسكرات التركيز فى « ستـاتوف » . وحتى نهاية الحرب ، لم يتم إجـراء أية عمليات إضافية فى ليتوانيا .

كانت فـرص الاستخبارات البريطـانية السرية فى « لاتفيـا » أكثر تشجيعـاً . وكان حلقة الصلـة بين جهاز المخابـــرات البريطـانى فى لاتفيـا هو الـدكتور « فـالديمارس جينترس » الذى كـان مصدراً هـاماً مـن مصادر الاستخبـارات السرية البريطـانية فى منطقة البحر البلطى وبالذات فى مدينـة « ريجا » الساحلية . وذلك فى فترة ماقبل اندلاع الحرب العالميـة الثانيـة ، وحـدث أن هرب عـام ١٩٤٢ إلى السويـد لينجو بحيـاته من الألمان .

وزعم « جينترس » أن إحدى التنظيمات السرية القـومية الكبرى واسمها « المجلس المركزى فى لاتفيا » تم إنشـاؤه فى لاتفيا بنهاية عـام ١٩٤٢ وكان يقدم خدمـاته لجهاز المخابـرات السرية البريطانيـة . واشتمل أعضاؤه على « فينتريس يتبفرس » و « بـرونو كالنين » وكلاهما كانا معروفين بعدائهما للنـازية ، وكان ذلك بمثابة الاعتبار المهم طالما أن حوالى ٣٠,٠٠٠ رجل من « لاتفيا » قد تطوعوا للانضمام إلى فيلق « لاتفيا » المعروف باسم فيلق « إس ـ إس » .

وأكد الجواسيس الموثـوق فيهم أن ضباط « هيميلـر » قد قـاموا بحشـد أتباعهم للقيام بمذبحة ضد مجموعة كبيرة من متطوعى لاتفيا الذين كانوا على استعداد للحرب ، وذلك فى الغابـات القومية مـن « ريجا » وبلغ عدد المذبوحين عشرات الآلاف . وأن فـرقاً عـديدة من فـرق الإعـدام فى لاتفيـا كانت تتجـول فى أوروبـا الشرقيـة لقتل مالايعـد ولايحصى من المدنيين الأبرياء يوميا . لم يكن « جنترس » متورطا فى هذه الفظائع .

بل كان يعرض تقديم حلقات الصلة القديمـة التابعة للمخابرات السرية البريطانية ويزودها بالمسجـلات وأجهزة اللاسلكى وحلقات الصلة بالـراديو مع لاتفيا ، وكلاهما كانت ترسل بالتقارير عن الاحتلال الألمانى .

وقبل البريطانيون العرض الذى تقدم به وأرسلوا إليه ٥٠,٠٠٠ كرونه سويدية تم

دفعها بطريق غير مباشر تـوخياً للحذر من خلال ضابط بحرى سـويدى ، هو الكابتن جوانســون . وكان هذا الضابط هـو الصلة التى يتم عن طريقها تقـديم التعليمات إليه واستقاء الاستخبارات والأسرار من الألمان ليتم بعد ذلك إرسالها إلى بريطانيا .

عبر « بيتر كليبتس » البحر البلطى إلى السـويد فى قارب صيد ، وكـان أصلاً عميلاً استخباريا ، وجلب معه معلومات حيوية : هى تكوين شبكة مقاومة جديدة قوامها ألف رجل فى غابـات « كورلانـد » تحت قيادة الجنرال « جـانيس كوريليس » وكـان « كار » لايفهم عن الجنـرال كوريليس وعملـه السياسى إلا أنـه كـان معاديـاً لكل من النازيـة والشيوعية : الألمان والسوفيت .

وعاد « كليبتس » بمسـاعدة البريطانين مستخـدماً أحد الزوارق إلى لاتفيـا . وكان مسافـراً على نفس الزورق أحد الـرجال الغـرباء وهو « إروين هـاسليمان » واستخدم اسماً مستعاراً هو « ليليا » . كـان « ليليا » مكلفاً بتنظيم شبكة بريطـانية فى لاتفيا تقوم بكتابة التقارير حول الأنشطة السـوفيتية فى أعقاب الانسحاب الألمانى ، والقيام بقيادة وتزعم فـريق مكون من عشرة رجال عبر الجبهة إلى داخل الأراضى التى يسيطـر عليها السوفيت .

وابتهـاجاً بنجـاحه ، أرسل « سـالنيس » بتفـاصيل الاتفاق إلى « ريجا » وبـدأ فى الاجتماعات الشهـرية الـدورية مع ممثلى الاستخبـارات البريطانيـة ومكتب الخدمات الاستيراتيجيـة الأمريكى (المخـابرات الأمـريكية على عهـد الحرب العالميـة الثانيـة) ، وقدمت التقـارير إلى لندن وواشنطن حيث كـانت تدمج مع الملخصـات التى توزع على القيادات ذات التسلسل القيادى على كافـة المستويات فى كل من « داوننج ستريت » مقر رئاسة الوزراء البريطانية ، والمكتب البيضـاوى ، مقر الرئاسة الفيدرالية الأمريكية.

كانت أجهزة الأمن الألمانية مهتمة اهتماماً خاصاً ومتـزايداً بالمقاومة كوسيلة تقود إلى مراقبة النوايا البريطـانية . وفى صيف ١٩٤٤ ، حينما تقدم الجيش الأحمر إلى بلدان ودويلات البحـر البلطى الثلاث ، وتراجع الألمان آنـذاك إلى بولنـداً ، تزايدت حـدة هذه الاهتمامات .

كانت منطقـة « كورلاند » فى لاتفيا عبـارة عن غابات كثيفة بطـول الساحل المطل على البحر البلطى وتطورت إلى منطقة عسكريـة كبرى لايمتلكها سوى من يقيم عليها .

وبالرغم من أنها كانت تقع تحت السيطرة السوفيتية إلا أنها كانت مرتعاً للجماعات الكبرى من القوات والجنود المعاقين والبائسين ومنهم جنود تابعون للفيلق اللاتيفى المسمى باسم (إس ــ إس » وجنود « فيرماخت » ، وقوميات تنتمى إلى دويلات البحر البلطى ، والطلاب وعمال المصانع والمزارعين ، وكل هؤلاء كانوا يخشون على حياتهم .

واشترت عائلات كثيرة تذاكر سفر بالقطارات إلى ألمانيا وهجروا بيوتهم إلى الأبد ، كما سافر الشباب باتجاه الغرب وهجروا مدارسهم وانضموا إلى الـ « فيرماخت » لحفر الخنادق المضادة للدبابات لحماية الجيش المتراجع ثم العمل بالسخرة فى المصانع الألمانية .

أما هؤلاء ذوو القوة الجسدية أو الصحة من الرجال الذين مكثوا فى ديارهم فقد كانوا يلقون مصيراً محتوماً ومعروفاً أثناء الصيف : ألا وهو الترحيل إلى سيبيريا كأعداء لروسيا والتجنيد فى الجيش الأحمر لاستمرار الحرب . ولقد أدى هذا التصرف من جانب الشيوعيين إلى طرد المزيد والمزيد من الناس إلى الغابات والريف .

وكان من بين أولئك الذين أصابهم التقهقر الألمانى مجموعة « كوريليس » وصدر الحكم عليهم ونفذت فيهم أحكام بالإعدام « بسبب اتهامهم بالاتصالات مع فيلق إس ـ إس » فى لاتفيا . وهرب الآخرون إلى غابات « كورلاند » واختبأوا هناك بطول السواحل ، وكانوا يتصلون بأجهزة المخابرات السرية البريطانية عن طريق الراديو واللاسلكى وزوارق الصيد .

وجاء فى رسائلهم أن حوالى عشرة آلاف من الفلاحين يعيشون بطول النتوء الجبلى البارز من غابات كورلاند وذلك بجوار آلاف من القوات الألمانية الذين قطع الجيش الأحمر عليهم طرق العودة .

وبمضاهاة تقارير « زيلينكاس » عن وجود ثلاثين ألف فلاح على الأقل فى غابات ليتوانيا ، وحوالى ١٠,٠٠٠ فى استونيا ، بدت احتمالات وفرص الأنشطة أمام المخابرات السرية البريطانية .. بدت واعدة ومشجعة . أما وصفهم بأنهم « فلاحون » أو « أعضاء فى المقاومة » ، ومعادلتهم بالفرنسيين العاملين تحت الأرض كان أمراً ملائماً لأنفسهم وللمتكفلين بهم ، إلا أن الوصف كان غير دقيق على الإطلاق .

على أية حال ، كل هؤلاء المشردين فى البرية طالبوا بمساعدة وعون بريطانيا للحصول على استقلال بلادهم عام ١٩١٨ واعتقدوا أن إذاعات هيئة الإذاعة البريطانية

الماضية حول ميثاق الأطلنطى ماكانت إلا ضمانــات مؤكدة حول استقلالهم وإبعادهم عن قبضة الجيش الأحمر .

لم يصب الوهم أياً من عملاء أجهزة الاستخبارات العاملة فى ستوكهولم ، أو آمالهم بأن الحزب سوف يستخدم قصارى جهده لاستعادة استقلال بلادهم ، بل على العكس بدأت تلك الأجهزة الثلاث المناقشات حول زيادة مساندتهم للفلاحين ، يصاحبها وعود حول المستقبل الأفضل .

وكان من بين هـؤلاء القراء « برودواى » لتقارير المستر « كـار » ، هو المستر « كيم فيلبى » الذى اكتشف وجـود ثلاثة عـوامل ذات أهمية قصـوى : ألا وهى الحجم المقدر للجماعات الفـلاحية ، واليسر الظـاهر فى الاتصـالات مع السويـد ، ثم زرع العملاء فى داخل الأراضى السوفيتية .

وتذكر المستر « فيلبى » أن إحدى وأولى وكبرى حلقات اتصالاته فى روسيا كانت فى لاتفيا . وكان يعمل مراسلاً لصحيفة « التايمـز » فى أسبانيا عام ١٩٣٧ ، وكانت حلقات الصلة بينه وبين المخابرات السوفيتية المعـروفة باسم « كى - جى - بى » هو « جانيس بيرزينز » الذى كان يعمل مستشاراً عسكرياً للقوات المعادية للجنرال فرانكوا تحت اسم مستعار هو « الجنرال جويسيان » .

كـانت رسـائل « فيلبى » تمر إلى الـرجل القـادم من لاتفيـا عن طـريق وسيط فى البرتغال إلا أن الرجلين التقيا وصارا صديقين ، ولم يترنح التزام وولاء المستر « فيلبى » للشيوعية فى عام ١٩٣٩ حينما تم استدعاء « بيرزينز » إلى موسكو مع ضابطين آخرين ينتميان إلى لاتفيا وكانوا جميعهم يعملون لحساب الـ « كى - جى - بى » ليتم إعدامهم هناك بتهمـة الخيانـة ، وذلك فى إطار حركـة التطهير الكبرى التى قام بها ستـالين ضد خصومه .

إلا أن قتل هؤلاء جـرد المخابـرات الروسية « كى — جى - بى » من أكثـر الضباط كفاءة وأعاق من عمليات القبض الجماعية التى قامت بها تلك الأجهزة عام ١٩٣٩ وبعد ذلك بخمسة أعوام ، حينما شرع « فيلبى » فى كتابة التقـارير إلى موسكو حول العمليات الدائرة والمنفذة فى البحر البلطى تحت زعامة وتوجيهات المستر « كار » لم يستطع «كى - جى - بى » أن يستعيد أى شـىء ولاحتى تواجداً اسمياً فى المنطقة .

وهكذا كـانت تقارير المستر « كـار » ذات اهتمام خاص لـدى القسم التاسع داخل

أجهزة الاستخبارات البريطانية السرية وتلقى التشجيع نظير هذا العمل ، وفى مارس ١٩٤٥ ، تبادل « كار » الاتجاه الإيجابى الذى تبنته لنديدا اخيراً وبوضوح تجاه مسألة جمع الاستخبارات والمعلومات المخابراتية داخل الاتحاد السوفيتى .

ولأجل ضمان الاتصالات الأكفأ والأكثر إتقاناً ، تم تدريب رجلين من مشغلى الراديو واللاسلكي وهما : « ارثر ارينتس » و « ريهاردز زاندى » ، على أيدى المستر « تيفيرز » على أجهزة ومعدات قدمتها المخابرات البريطانية السرية ، وتم إرسالها بصفة فردية إلى « لاتفيا » ، وكانت مجموعة « جينتوس » توفر الحماية لكل منهما ، وهى التى كانت تحتوى بين أفرادها على عدد من الجنسيات اللاتفية الذين قدموا خدماتهم تحت إمرة وقيادة الألمان .

وكان هناك شخص يسمى « روبرت سيبرس » أحد الضباط فى فرقة « جاجد كوماندو» الألمانية وكان فى السنوات الثلاث الماضية يقوم بتشويه وقتل أى لاتفى يعارض الاحتلال الألمانى لبلاده .

أما الآخرون العاملون فى جماعة « جينترس » والذين كانوا أعضاء فى فرقة كوماندو خاصة يتزعمها الميجور « فيكتور أراجاس » هم الذين قضوا العامين الماضين كفريق إعدام فى أوروبا الشرقية .

كانت هذه المجموعة فى مأمن بصفة مؤقتة من الجيش الأحمر والـ « كى ـ جى ـ بى » ، وكانوا ينتظرون حينما اندلعت معركة « برلين » على بعد ألف كيلومتر ، فقد كانوا على قناعة بأن حلفاءهم الحقيقين هى أجهزة المخابرات فى السويد .

وفى الجنوب وعلى بعد ثلاثمائة ميل ، فى ليتوانيا ، كانت معركة كاملة العناصر يدور رحاها بين الفلاحين والمحتلين الجدد للبلاد ، أما مسئولية استعادة ليتوانيا للرزوح تحت الحكم السوفيتى فقد عهد بها الزعيم ستالين شخصياً إلى «ميخائيل سوسلوف» ، الذى علا نجمه فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى الحاكم .

إلا أنه بحلول أواخر الصيف ، اعترف « سوسلوف » بأن الريف فى الليل يقع تحت سيطرة ١٠٦٧ من جماعات الفلاحين وحوالى ٨٣٩ من جماعات قطاع الطرق ، وأن هذه البيانات تمثل حقيقة واقعة لايمكن الجدال بشأنها .

وناشد « سوسلوف » موسكو ليرسل احد المتخصصين الذى يستطيع قمع الخسائر غير المقبولة التى كان الجيش الأحمر يتكبدها . أما رجل المهام الصعبة الذى

وصل فى سبتمبر فهو الجنرال « سيرجى كروجلوف » نائب منطقة « بيريا » فى كوميساريا الشئون الداخلية ، وكان قد حاز سمعة طيبة عكست الأعمال الشريرة التى نفذها إبان حملة التطهيرات الكبرى التى قام بها ستالين .

وأنعشت عودة الجيش الأحمر ذكريات التجميعات القسرية ، والاستيلاء على الممتلكات والترحيلات الجماعية التى راح ضحيتها قبلا حوالى عشرين بالمائة من السكان . ووجد الكثيرون العزاء لأنفسهم فى أن الاحتلال الروسى سوف يكون احتلالاً مؤقتاً للمرة الثانية . إن العسكرية الألمانية ـ حسبما تكهنوا بذلك ـ سوف تطيح بهتلر وسوف يتم دعوته لتشكيل ائتلاف مع أمريكا وبريطانيا من أجل شن حرب صليبية ضد الشيوعية ، وطرد الجيش الأحمر من برلين ورده على أعقابه إلى داخل روسيا .

وتحدث المعادون للشيوعية فى عدد من الاجتماعات السرية عن احتمال نشوب حرب عالمية ثالثة لفرض ميثاق الأطلنطى على الزعيم السوفيتى ستالين . وبدأت الدبلوماسية السرية على أيدى رئيس وزراء بريطانيا انتونى ايدين عام ١٩٤٠ ، وعزز منها عام ١٩٤٤ تدخلات الرئيس الأمريكى روزفيلت فى طهران .

ولم تكن مسألة سوء تفسير تحالفات زمن الحرب بين الدول الكبرى الثلاث ـ وقد كان هذا أمراً محتوماً ومسألة قدر ـ بالشىء الغريب أو غير المألوف ، بل كان متوقعاً . واقترح نفس السيناريو الكثيرون من كبار ضباط ألمانيا وساستها على ضباط استخبارات أجهزة مخابرات الحلفاء فى السويد وسويسرا .

اما « آلان دالاس » ممثل مكتب الخدمات الاستيراتيجية الأمريكية فى بيرن ، فقد نقل المفكرة إلى واشنطن ، إلا ان أولئك المتعاطفين مع الشيوعين تجاهلوا تصميم وعزم روزفيلت على البقاء على علاقات طيبة مع ستالين ، وأن يلتزم بالسياسة المتفق عليها والتى قضت بالاستسلام غير المشروط من جانب ألمانيا .

ثم قام المستر « كروجلوف » بالتحريض على إثارة أعمال العنف فى ليتوانيا مما أدى إلى انقلاب عدة آلاف من الفلاحين وتخليهم عما كانوا محتشدين من أجله ، إلا أن الجمهرة الكبرى لم تتأثر وبلغت حوالى ٢٠,٠٠٠ التزموا بالقتال .

كما كان ثمة كثيرون يتعشمون فى أن يفى الرئيس الأمريكى بتعهداته المعلنة . وتأججت نفس العواطف بين صفوف الشعوب اللاتفية التى كانت تتخذ من غابات

« كورلاند » مقـراً لها مؤقتا ، على الرغم من أن « جينترس » الـذى أصابه الضنى والألم وخشى من الأسر ، استقل زورقاً من زوارق الصيد وشد رحاله إلى السويد .

وسرعـان ما انضم إليه الرجلان اللـــذان كانـا يعملان مشـــغلين للراديـــو وهما « ارنيتس » و « زانـدى » كما لحق بهم أيضـــا المستر « سيبريس » . ولما وضعت الحرب أوزارها ، وتم تعـزيز السيطـرة والنفوذ الروســى ، بدت أجهزة المخـابرات البريطـانية السرية وقـد فقدت صلاتها وحلقات اتصـالاتها داخل الاتحاد السوفيتى وذلك فى وقت كانت فيه الحاجة إلى هذه الصلات ماسة وضرورية للغاية .

* * * *